مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية
مجلد 41 – عدد 3 (2025): 237-258

Damascus University Journal of arts and humanities sciences Vol 41-No.3 (2025):237-258

إشكالية النهضة في الفكر العربي المعاصر

دراسة مقارنة بين محمد عمارة ومحمد عابد الجابري

إبراهيم طاهر نصر الله[1]*

1-باحث حاصل على دكتوراه في الفلسفة-كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق.
*- Ibrahem11285@damascuseuniversity.edu.sy

الملخص:

يهدف البحث إلى الكشف عن إشكالية النهضة في الفكر العربي المعاصر ممثلاً بمفكرين يمثلان حالتين مختلفتين: أحدهما ينتمي لتيار الإصلاح الديني الإحيائي بشكل مباشر، ويعتبر نفسه سليل هذا التيار، أما الثاني فهو ابن المدرسة العقلانية المغربية المشبعة بأعمال فوكو ودريدا وبارت، التي تهتمُّ أساساً بمكنون النص أكثر من ظاهره، وما يخفيه أكثر مما يعلنه، ويبحث عمّا بين السطور من معانٍ أكثر من السطور ذاتها، ليكشف عن دوافع الخطاب والتراث اللاشعوريين – أكثر من تلك الدوافع العقلانية التي يحتمي بها النص التراثي – في تناولهما لقضية انبعاث النهضة في أوصال الجسد الفكري والمادي العربي كذاتٍ غير مغتربة عن ذاتها وحضارتها ومنجزات عصرها.

وقد انتهى البحث لعدة نتائج منها: إن المرجعية الفكرية لفيلسوف ما ستحدُّ من خيارات نهضته وآفاقها، كذلك فقد مثّل التراث عند الفيلسوفين إرهاصاً أولياً للنهضة العربية المأمولة، إلّا أن تصورهما لاستحضار التراث بدا مختلفاً، كذلك فقد بيّن البحث أن محددات الهوية

تاريخ الإيداع: 2024/11/21
تاريخ القبول: 2025/06/11

حقوق النشر: جامعة دمشق – سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص CC BY-NC-SA 04

ستساهم في بلورة رؤيتنا لماهية النهضة وكيفية وسبل تحققها، كما بيّن البحث أهمية تحديد الآخر المقابل للذات الحضارية واختلاف هذا التصور، لينتهي بحث الهوية إلى تأكيد عجز الذات العربية عن التحرر من تبعية الآخر، وبالتالي عدم قدرة هذه الذات على بعث نهضتها قبل تحررها، وقد بيّن البحث أخيراً موقف كلٍ من محمد عمارة والجابري اتجاه مشاريع التحرر الفكرية العربية ليبيّنوا النقص الذي يعتريها.

الكلمات المفتاحية: نهضة، هوية، الأنا، الآخر، عولمة، إحياء.

The problem of the Renaissance in contemporary Arab thoughtA comparative study between Muhammad Amara and Muhammad Abed Al-Jabri

Ibrahim Taher Nasr allah[1*]
1 -Researcher holding a Doctorate in Philosophy, College of Arts and Human Sciences, Damascusuniversity.
*- Ibrahem11285@damascuseuniversity.edu.sy

Received:21 /11/2024
Accepted: 11/06/2025

Copyright: Damascus University- Syria, The authors retain the copyright under a CC BY- NC-SA

Abstract:
The research aims to reveal the problem of the Renaissance in contemporary Arab thought, represented by two thinkers who represent two different cases: one of them belongs directly to the revivalist religious reform movement and considers himself a descendant of this movement, while the second is the son of the Moroccan rationalist school imbued with the works of Foucault, Derrida, and Barthes. Which is fundamentally concerned with the content of the text more than its appearance, and what it hides more than what it reveals, and searches for more meanings between the lines than the lines themselves, to reveal the subconscious motives of discourse and heritage more than those rational motives that the heritage text seeks refuge in, in their dealing with the issue of the revival of the Renaissance in The parts of the intellectual and material body as a self that is not alienated from itself, its civilization, or the achievements of the era.

The research concluded with several results, including that the intellectual reference of a philosopher will limit the options and horizons of his renaissance. Likewise, for the two philosophers, heritage represented a preliminary precursor to the hoped-for Arab renaissance, until their perception of evoking heritage seemed different. The research also showed that the determinants of identity will contribute to crystallizing our vision of what it is. Renaissance and how and how to achieve it, The research also showed the importance of identifying the other that is comparable to the cultural self and the difference in this perception, so that the identity study ends with an explanation of the inability of the Arab self to be liberated from dependency

on the other, and thus the inability of this self to revive its renaissance before it is liberated from its dependency on the other. The research finally clarified the position of both Muhammad Amara and Al-Jabri are among the Arab intellectual liberation projects to correct the shortcomings that plague them.

Keywords: Renaissance, Identity, Ego, Other, Globalization, Revival.

المقدمة: Introduction:

منذ أنْ دكّت مدافع نابليون عام 1798 أراضي مصر ووطأت قدماه ساحل الإسكندرية أحدثت في عقول الناس ونفوسهم صدمة تاريخية هائلة، فنابليون لم يطأ أرض الكنانة بسيف وخيل، بل بمدفع وأسلحة نارية ومطبعة وعلماء، لذلك شعر المسلمون بضعفهم، وأن عهد السيف والخيل المملوكي قد انقضى زمنه كمعيار للقوة الحضارية، وأن عصر العلم والقوة البخارية هي التي ستفرض كلمتها، فدخل المسلمون في إشكالية الهوية وجدلها مع الغرب وبرز السؤال الأهم: لماذا تقدم الغرب وتخلفنا، وجاءت الأجوبة مختلفة وصادمة تعبر عن السياقات الفكرية التي ينتمي إليها هؤلاء الذين تصدوا للإجابة، فمنهم من وجد البعث النهضوي للذات العربية بالإسلام، ومنهم من رآه ببعث الذات العربية بتراثها ولغتها، ومنهم من نحا نحو التغريب مستمسكاً بحلول الغرب الحضارية ملجأً لتيه الذات في مجاهيل التخلف.

ولكنْ أيُّ ذاتٍ تلك التي نريد انبعاثها، هل هي الذاتُ الحضارية التي أرساها النبي محمد في قلب الصحراء العربية المتعطشة للكرامة، أم أنها الذات المسكونة بالتكنولوجيا الغربية دون الإرث الحضاري، فنختار علم الغرب دون ثقافتهم، أم أنه لا مجال لاختيار ما بين هذا وذاك لمتسولِ حضارةٍ فَقَدَ رشده، لذلك فإن سؤال الهوية برز في العالم الإسلامي الحديث منطوياً على إشكالية النهضة.

سنحاول في هذا البحث مناقشة الخيارات النهضوية التي طرحها العرب المسلمون للتخلص من تخلفهم الذي اكتشفوه من خلال مفكرين: أحدهما ينتمي لتيار الإصلاح الديني الإحيائي بشكل مباشر ويعتبر نفسه سليل هذا التيار منذ الإمام الأفغاني ومحمد عبده إلى تيار الإخوان المسلمين في وقتنا الراهن، أما الثاني فيقدّم نفسه في كتابيه: إشكاليات الفكر العربي المعاصر، والخطاب العربي المعاصر، على أنه مفكرٌ خارجٌ عن موضوع التيارات الإيديولوجية وناقدٌ لها بوجه عام، وهنا يبرز سؤالنا الإشكالي وهو: هل استطاع المفكر العربي تشخيص إشكالية النهضة من خلال تحديد دقيق لأسباب النهوض وعثراته ، ولن يتسنى ذلك لهم إلا بالإجابة عن سؤال الهوية: من نحن في خضم العولمة وماذا نريد، ويتفرع عن هذا السؤال الإشكالي الرئيس العديد من الأهداف الذي يسعى البحث للإجابة عنها من قبيل:

- هل يمكن للباحث في مشكلة النهضة أن يكون حيادياً من الناحية الفكرية، وإن كان حيادياً فبأي معنى؟ واتجاه ماذا؟ سنؤجل الإجابة عن هذين السؤالين المتولدين عن السؤال الأول للبحث نفسه.
- ومن جهة أخرى هل يمكن لباحث في التراث منتمياً لتيارٍ ايديولوجيٍ ما أن يكون منصفاً في تحليل إشكالية النهضة، وبالتالي هل يمكن تصور آليات لمغادرة التخلف إلى التقدم؟
- هل يمكننا أن نَعُدّ مسألة النهوض والرغبة بالتحرر قضية وعي بالتخلف يتمخض عنه رغبة ومن ثم قرار للتحرر من قيوده؟
- هل يمكن لأمواتٍ أنْ يقدّموا حلولاً لمشاكل الأحياء حتى نستلهم حلول الحاضر من الماضي، وهذا ما يستدعي أسئلة التراث من قبيل السؤال عن ماهيته، وهل هو الإسلام ومفاهيمه وتاريخ الرسول وعمله، أم أن التراث يشمل تاريخ العرب الجاهلي؟ وهل هناك تاريخٌ للعرب يمكن أنْ يشكّل مدخلاً لحضارة ما، وهل يدخل النص القرآني ضمن مفهوم التراث؟
- ما هي البنى الثقافية والفكرية والمعرفية التي أدّت بالعقل العربي إلى التأخر ودفعت بعقل الآخر إلى التقدم؟

منهج البحث:

إن موضـوع دراسـتنا يفرض علينا اتباع المنهج التحليلي الذي يسـاعدنا على التعمق بنصـوص كلٍ من محمد عمارة ومحمد عابد الجابري الفلسفية وتفكيك بناها الأساسية، لنكتشف طبيعتها وإلى أي النصوص الفكرية تنتمي، كذلك فإن استخدام المنهج المقارن سيساعدنا على مقارنة النصوص المختلفة حول إشكالية النهضة العربية عند كلٍ منهما، أما المنهج التاريخي سيكون مناسباً لنتبين من خلاله مصـادر الرؤية الفلسـفية والفكرية والثقافية التي شـكلت فضـاءً معرفياً لهما، ولعل منهج النقد سـيكون أداة فعالة بيد أي باحث يريد أن يجلي الحقيقة الموضـوعية ويكتشـف حقيقة هذه الرؤيا الفلسـفية عند فيلسـوفين أحدهما ينتمي للمشـرق العربي وآخر ينتمي للمغرب، لرصـد الاختلافات بين الخطابين إن وجدت، ويبتعد عن المقولات المسـبقة المليئة بالبخار الأيديولوجي والعسـف الفكري، فالمنهج النقدي سيتيح لنا عدم الانزياح لأي مقولة أرادت تمرير رؤيا أيديولوجية ما. كما أنّ طبيعة الإشكاليّة التي يعالجها البحث تقتضي اتِّباع المنهج الوصفي الذي سيساعد الباحث على تحديد مفهوم النهضة في التراث الإحيائي والتراث العقلاني.

سبب اختيار البحث:

إن البحث في مفهوم النهضة في الفكر العربي الإسلامي المعاصر ممثلاً بالتيار الإحيائي والتيار العقلاني الابستمولوجي هو دراسة ذات أهمية بالغة وتلامس في ضـرورتها حال الأمة العربية في القرن الحالي المهدد في وجوده من قبل قوى الهيمنة الكبرى، من خلال إعادة تشكيله وتقسيم المقسم من أراضـيه عبر اتفاقيات جديدة أرادت تجاوز سـايكس بيكو إلى صـيغ من الذل الجديد، فحال العرب الآن كحالهم أيام رواد النهضة الذين طرحوا سؤالها أمثال الطهطاوي ومحمد عبده والكواكبي.

الدراسات السابقة:

بعد تصفحنا لمواقع الشابكة لم نعثر على بحث يتناول مفهوم النهضة في الفكر العربي المعاصر كمقارنة بين مفكر اصلاحي مثل محمد عمارة وبين محمد عابد الجابري، واقتصرت الأبحاث على بعض الدراسات العامّة في موضوع النهضة، دون أن نلحظ أي دراسـة متخصـصـة تتناول المقارنة بين التيار الإحيائي الذي ينتمي له محمد عمارة ورؤية محمد عابد الجابري لمسـألة النهضـة، ويمكننا أن نعرض بعض الأمثلة لمثل هذه الدراسات:

فمثلاً دراسة بعنوان *سؤال النهضة* في مشروع عابد الجابري، تأليف الدكتور محمود محمد علي محمد، وهو بحثٌ مقتضب يعرض مشـروع الجابري في النهضـة في صـفحات محدودة، فيشـير لأهم كتبه النقدية باعتبارها النواة الحقيقية لنهضـة عربية، ونحن من جانبنا لم نتعرض لهذا الجانب من النهضة عند الجابري، بل لموقفه من النهضة مقارنة بموقف محمد عمارة.

وكذالك دراسـة صـادرة عن مركز الجزيرة بعنوان: *سـؤال النهضـة في الفكر العربي المعاصـر*، تأليف الباحث بوعرفة عبد القادر (https://www.aljazeera.net/blogs/2019/4/11/) وهو مقال صـغير يربط فيه بين النهضـة الأوروبية التي صـنعها العقل الغربي والمغامرة التاريخية التي خاضـها كريسـتوف وماجلان وغيرهم لفتح أفق لنهضـة العالم الغربي، وبين النهضـة الإسـلامية ومغامرة الفاتحين الأوائل، فلولا الفتح لما جاء التصوف وعلم الكلام والفلسفة الإسلامية. ويذهب الباحث إلى أن سؤال النهضة هو ثورة على البراديم وتفكير خارج الصندوق، والمقال عموماً، هو بحثٌ عامٌ في النهضة قد يتقاطع مع بحثنا في بعض النقاط العامة.

وهناك دراسـة لا تتجاوز ثلاث صـفحات بعنوان: *سـؤال النهضـة عند المفكر المغربي الراحل محمد عابد الجابري*، للباحث عصـام عابد الجابري، عام 2016، (https://www.hespress.com) وقد انتهى فيه إلى أن النهضـة في العالم العربي تبدأ عند الجابري بنقد ذاك العقل وآلياته، وقد عرض الباحث لأنماط العقول في سطورٍ معدودة، ومن الواضح أن دراستنا لا تتقاطع مع هذه الدراسة.

وعلى موقع آخر من مواقع الانترنت وجدنا دراســة بعنوان: *النهضــة العربية ودور المثقف فيها قراءة محمد عابد الجابري*، للباحث حفيظ السليماني، 2020، (https://hiragate.com/24030/) وهي دراسة تبين دور المثقف في بناء نهضة عربية، ولا تتجاوز في صفحاتها أصابع اليد الواحدة، كما أنها لا تتقاطع مع بحثنا، إلا أننا سنضعها على قائمة المقالات التي يمكننا الاستفادة منها.

ومما هو ملاحظ في هذه الدراســات اقتصــارها على عرض جهود محمد عابد الجابري في موضــوع النهضــة وابتعادها عن جهود محمد عمارة، ناهيك عن خلوّها من مقاربة بين الرجلين.

خطة البحث:

سيشتمل البحث على مقدمة وثلاثة مباحث متبوعة بخاتمة متضمنة لأهم النتائج، إضافة لقائمة المصادر والمراجع الخاصة بالبحث على النحو الآتي:

مقدمة:

أولاً: مفهوم التراث وإمكانية النهضة بين محمد عمارة ومحمد عابد الجابري.

1. المرجعية الفكرية لكل من محمد عمارة ومحمد عابد الجابري في تصورهما للنهضة.
2. التراث باعتباره إرهاصاً أولياً للنهضة العربية.

ثانياً: النهضة العربية وإشكالية الهوية.

1. محددات الهوية عند محمد عمارة ومحمد عابد الجابري.
2. صراع الأنا والآخر.
3. الهوية بين مفهومي التبعية والتحرر.

ثالثاً: نقد مشاريع التحرر العربي النهضوية عند كلٍ من محمد عمارة ومحمد عابد الجابري.

1. موقف محمد عمارة من مشاريع التحرر العربي النهضوية.
2. موقف محمد عابد الجابري من مشاريع التحرر العربي النهضوية.

خاتمة

أولاً: مفهوم التراث وإمكانية النهضة بين محمد عمارة ومحمد عابد الجابري:

تعدُّ فكرة النهضة من الأفكار الحاسمة والفارقة في تصنيف الدول والبشر، فمن حقق نهضته يُصنّف بأنه متقدم ومتحضر، أما من ســار بدروبٍ مخالفةٍ فيدرج ضــمن لائحة دول العالم الثالث، مما يعني أن العرب معنيين بهذه النهضــة لتوفر شــروطها من خلال مشــاريع عديدة، من أهمها إقامة وحدة اقتصــادية وفّرت اللغة والدين والثقافة الواحدة سـبلها، خاصــة أن دول الغرب حققت نهضــتها ووحدتها الاقتصادية بعد حروب مريرة ومدمرة بينهم، اتفقوا بعدها على إقرار مبدأ سيادة الدول وسياسة عدم التدخل.

ســـنناقش في هذا المبحث موقف كلٍ من محمد عمارة والجابري من مفهومي التراث والنهضـــة من خلال تحديد انتمائهما الفكري والمرجعية الفكرية لكلٍ منهما، لنتعرف في المطلب الثاني على موقفيهما من هذين المفهومين وتحديدهما لطبيعتهما. وهنا يظهر السؤال الإشكالي للبحث: هل كان مفهوم النهضـة غربياً بحتاً أم أن لهذا المفهوم مصـادر أخرى؟ وهل يوجد معايير إسلامية لمفهوم النهضة؟

1. المرجعية الفكرية لكلٍ من محمد عمارة ومحمد عابد الجابري في تصورهما النهضة:

يمكننا القول وبكثير من الثقة أن الإنسان يفكر عبر مجموعة مفاهيم يصنعها عبر تاريخه الحضاري من خلال انزياحات تاريخية ونفسية مرغوبٌ بها، وهذه المفاهيم ستشكل فضاءً فكرياً ومنبعاً لمجمل الحلول التي يقترحها المفكر لمشكلاته الحضارية، ومنها إمكانية النهوض.

وبناءً على ما سبق فإن محمد عمارة ينطلق في فكره النهضوي والتنويري الإحيائي من ثوابت دينية يعتبرها مؤسسة لخطابه الإصلاحي التنويري، الذي بدأ مع جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وانتهى بحركة الإخوان المسلمين، وهذا يعني أن النظر في موضوع النهضة يجب أن يبدأ أساساً من نصوص مقدسة وما أسسته من نصوص تراثية، وهذا التيار يرى ضرورة التحرر من الغرب، وذلك من خلال المواجهة الفكرية لكل القوى العربية المستلبة له، والتي ترى ضرورة التخلص من الدين باعتباره عقبة وحجر عثرة أمام تقدمها والتماس نهضتها، وقد يعترض معترض أن التراث العربي متنوع، فأي نوع من التراث العربي كان يمثل مرجعية لمحمد عمارة؟

لو بحثنا في كتب محمد عمارة التي تستحضر التراث لوجدناها تحفل بالتراث العقلاني، فهو يقدم التراث العقلاني للفكر المعتزلي في إطارٍ من المدح والإطراء، فعندما عرض لفرقة المعتزلة في أحد كتبه قدَّم مبدأ العدل على مبدأ التوحيد، على خلاف ما هو متعارف عليه، لأن هذا المبحث يعرض لفكرة "" أن للإنسان قدرة وإرادة ومشيئة قد خلقها له خالقه، وأنها تؤدي وظائفها بشكل مستقل وحر، .. ومن ثم فالإنسان هو خالق أفعاله على سبيل الحقيقة لا المجاز "" (عمارة، 1997، 48) كذلك فإنَّ عمارة في الأصل الثالث (الوعد والوعيد) يحتفي بفكرة إنكار الشفاعة، ليغدو العمل وحده هو الذي يحسم قضية مستقبل الإنسان ومصيره، كذلك فإنَّ لهذا المبدأ طابعاً سياسياً يكتشفه محمد عمارة باعتباره جاء على النقيض من فكر المرجئة الذي يسمح بإمداد الظالم بمسوغٍ ديني "" يمد لهم حبالاً في النجاة، بينما فكر المعتزلة يحكم عليهم بالفسق والخلود في النار" (عمارة، 1997، 51) كذلك فإنَّ محمد عمارة يسلّط ضوء بحثه على الحالات الثورية التي وقف بها الدين مع المستضعفين، وقد ألقى الضوء على سيرة عمر بن الخطاب وأبي بكر وعلي بن أبي طالب وآل بيت الرسول وأبي ذر الغفاري، ومن قبلهم سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي كانت مليئة بحوادث العدل والثورة على مظاهر التخلف.

في أي عملية نهضوية ينبغي الانطلاق من مبدأ التوحيد كتأكيدٍ على رفض كل طواغيت الأرض وابتعادٌ عمّا أَسرَ الناس من شهوات الأرض، وثورة في تحرير الإنسان من كل تبعية (عمارة ، 2007، 9)، وهنا دعوة صريحة إلى نوع من تجديد الخطاب الديني بالتركيز على معنى جديد للعبودية، وهو: إخراج العباد من عبادة مخلوقات الله من مال ونساء وشهوات ومراكز سلطوية، وبشرٍ متنفذين بالحياة إلى عبادة خالقهم، وفي ذلك توحيدٌ للمعبود وتخلصٌ من تعدديته، فالعابد يتحرر من سلطات هائلة تثقل كاهله وتورده المهالك، فعبادة المال تحتاج إلى جهد لا ينتهي في تحصيله، وشهوة تنتهي بصاحبها إلى مصرعه تحت وطأة شهوة تحصيله، وهذا ما بيّنه روجيه غارودي عندما عرض لحضارة الغرب على أنها حضارة لا إنسانية في سعيها للكسب المادي على حساب الآخرين دون النظر إلى قوة متعالية قادرة وآمرة (غارودي،1999، 40).

إن عبادة الله تحررك؛ لأن الله الودود لا يريد ضررك، وطالما أنت عبداً له يعطيك السيادة على الأرض – كفرد ونوع – والحرية والإرادة على تحقيق ذاتك ضمن قواعد مجتمعك ومتطلباته، ويذهب محمد عمارة إلى ضرورة استخراج المعاني اللامتناهية من النصوص المتناهية وتنزيل المعاني الجديدة على الواقع المتغير (عمارة، 2007، 7)، وهو واجب على علماء الأمة ومفكريها حتى لا يُستلب الدين.

ولو حاولنا الاكتفاء بالمعنى الظاهري للنص دون تأويل وتجديد لساد الجمود والتقليد في الفكر والفقه والخطاب الدعوي، مما يفضي إلى انفلات الواقع المتطور من حاكمية الشريعة الثابتة، فيكون العجز عنواناً للشريعة، وبالتالي لن تكون صالحة لكل زمان ومكان، فتغيب حجة الله على عباده، وهدايته لخلقه، مما يعني أن صلاحية الإسلام مرهونة بالتجديد في الفكر الإسلامي بمختلف جوانبه البحثية بعد أنْ خُتمت الشرائع السماوية بشريعة الإسلام (عمارة، 2007، 7 – 8).

ويذهب محمد عمارة إلى أن دعوى التجديد ليست بدعاً من عنده، بل هي مؤيدة بنصٍ نبوي يؤكد من خلاله ضرورة التجديد، حيث قال: يبعث الله لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها (عمارة، 1988، 33) وانظر كذلك (يعقوب، https://www.islam4u.com/ar/maghalat/).

أما محمد عابد الجابري فيرى أن المرجعية التراثية تعود إلى عصر التدوين الذي يتمثل بتدوين مختلف أصناف العلوم ضمن رؤية للعقل تنحصر بثلاثة مستويات من استحضاره:

1. المعقول البياني: الذي ينبني على مكونات اللفظ والمعنى وقياس الفرع على الأصل، كآليات وبنىً لمكوّنات الذات البيانية.
2. المعقول العرفاني: ومكوناته التي تتعلق بالتفريق بين الحقيقة والتأويل والقياس العرفاني ومسألة النبوة والولاية، كآليات لتكوين الذات العرفانية.
3. المعقول البرهاني: الذي يتعلق بالقياس البرهاني، وهو مستخدم لخدمة المعقول البياني والعرفاني (الجابري، 2009)، ويمكن التدليل على استخدام الموروث العقلاني لخدمة العرفاني، ما قام به الفارابي، عندما قام بالتدليل على مسألة النبوة من خلال نظرية أرسطو في العقل الفعال (الضاهر، مجلة جامعة دمشق، 2014، 468 – 475).

وقد ذهب أحد الباحثين إلى أنَّ ذاك العصر (عصر التدوين للعلم) مرّ بخمس مراحل وهي: 1. تقييد العلم ونقله من صدور الرجال إلى معطيات مادية من رق وعسيب وعظم وقتب ولحاف وكاغد 2. كتابة العلم: وهي نقله إلى صحف بعد أن توفر للمسلمين في ذلك الوقت مادة الورق بعد فتح سمرقند، 3. تدوين العلم، 4. ومن ثم تبويبه، 5، وأخيراً الانتهاء بتصنيفه (طرابيشي، 1998، 23) وهذا ما سيشكل – بحسب طرابيشي – فبركة المرجعية في اللحظة الحاضرة، فعصر التدوين – الذي يفترض الجابري أنه لا يخضع لمفهوم القبيلة، وأراد أن يقرأ من خلاله التاريخ العربي في نهضته الأولى – هو عصر تدوين جرى بناءه في مخيلة الجابري باعتباره المرجع الأساسي لقراءة التراث: ما قبل عصر التدوين وما بعده، ويمكن القول أن هذا العصر لم يكن عصر تدوينٍ بل كان عصر إنتاج وإعادة إنتاج ثقافي، فليست الذاكرة وحدها هي التي نشطت، بل كذلك وأساساً ملكة الخلق والإبداع، وقد أخذ طرابيشي على الجابري سكوته عن مصدر فكرته = عصر التدوين التي أخذها من أحمد أمين في كتابه: ضحى الإسلام ومن نص السيوطي: تاريخ الخلفاء (طرابيشي، 1998، 14 – 16).

من خلال طموح الجابري السابق في تأسيس مرجعية تراثية يمكننا أن نسأل هل قَبِلَ الجابري كلَّ التراث المصرح به، والمسكوت عنه من عصر التدوين؟ في الحقيقة أن الجابري عرض جملة التراث وما صدر عن عصر التدوين وقام بتحليله ونقده والكشف عما سكت عنه من خلال جملة كتبه، إلا أنه لم يقبله كله بل كان ينتمي – وعلى لسان حسن حنفي– إلى عقلانية مغربية، (حنفي، 1990، 7) تؤكدها كتاباته في تاريخ الفلسفة التي تفصل بين تيار مغربي عقلاني هو امتداد لعقلانية أرسطية ممثلةٌ بابن رشد الذي حاول الخروج بالفلسفة من مستنقعات الأسئلة التي تؤسس للخطاب العرفاني العربي (الجابري، 1993،)، إلى أسئلة الحداثة والنهضة التي تُؤَسَسُ على بنى الخطاب البرهاني، وهو بذلك يسعى لتشييد عقلانية عربية في قراءة التراث العربي، والتأسيس

لنهضة عقلانية تبتعد عن كل موروث عرفاني لا عقلاني؛ وهذا يعني أن النهضة هي خروجٌ على البراديم الذي سيشكل مرجعية للتراثويين العرب الذين يرون نموذجية في التراث جملة واحدة دون تمحيص الموقف والحدث العقلاني، وإعادة قراءته لما يوافق واقعنا المعاصر وضرورات حياتنا.

2. التراث باعتباره إرهاصاً أولياً للنهضة العربية:

يرى محمد عمارة أن التراث العربي الذي يمكن أنْ يشكّل لحظة فارقة في وعي العربي لذاته هو الدين، وهو المرجع الأساس لأيّ حضارةٍ عربية إسلامية مستقبلية، إذا ما قمنا بتجديد وعينا به وفهمنا له، فالدين عند محمد عمارة القابل للتجديد وإعادة الفهم المستمر هو ثورة تحرير للإنسان من قيود الطواغيت، والتجديد لا يقتصر على الناحية الفقهية والمعاملات المادية، بل يشمل كل مناحي هذا الدين، و يصل في بعض الأحايين إذا اضطر الأمر لأصول الإيمان في الإسلام، (عمارة، 2007، 9) والتجديد ضرورة مجتمعية واقتصادية وسياسية؛ لأن الدين الإسلامي هو خاتم الأديان، وهو الرسالة الخاتمة لكل الرسالات، ولكنه من جهة أخرى يتسم بالمحدودية، فالنص الإسلامي انتهى في تكوينه المادي بعد خطبة الوداع وبعد أن أعلن الله أنه أكمل هذا الدين من خلال قوله: ﴿... الْيَومَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُم وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نَعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ الإِسْلام دِيْنَاً فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (المائدة، آية 3).

إن التناقض الحاصل بين شريعة صالحة لكل زمان ومكان، وتسعى لحل مشاكل واقعٍ متجددٍ في ضروراته وأحداثه، وبين كونها شريعة مكتملة النصوص، يمكن حله عند محمد عمارة من خلال اكتشاف معانٍ جديدة للنص المحدود، فالفجوة بين الشريعة الإسلامية – التي هي وضع إلهي ثابت – وبين مقتضيات ومتطلبات الواقع – المتغير والمتطور دائماً وأبداً – تُملأ من خلال تأويل النص ليغدوَ نصاً متحركاً، وبالتالي يغدو التجديد حقاً على فئة من العلماء حتى يستجيب القرآن والحديث لمقتضيات الواقع عبر تعدد المعنى وتجديده، ولو حاولنا الاكتفاء بالمعنى الظاهري في تفسير النصوص دون تأويل وتجديد لساد الجمود والتقليد في الفكر والفقه والخطاب الدعوي، مما يفضي إلى انفلات الواقع المتطور من حاكمية الشريعة الثابتة، فيكون العجز عنوانٌ للشريعة (عمارة، 2007، 7 – 8).

إن مفهومي التجديد والاجتهاد الذين أشار إليهما محمد عمارة باعتبارهما مطلبين ضروريين وبديهيين، هما بالحقيقة ليسا كذلك، فليست كل الفرق الإسلامية تجوّز الاجتهاد اللامحدود، ناهيك أن تصل هذه الاجتهادات إلى جوهر العقيدة، فكما هو معلوم أن جمهور علماء الأشاعرة والمعتزلة ومجمل الفرق الإسلامية لا يسمحون بمزيدٍ من التأويل على المستوى العقدي من أبسط فكرة عقدية إلى أكثرها تعقيداً؛ فأفعال الإنسان على سبيل المثال مكتسبة عند الأشاعرة من قبل الإنسان بينما هي مخلوقة عند المعتزلة (داود، 1996، 136 – 137) وهذا ينسحب على جميع القضايا العقدية من صفات الله إلى أفعاله، مما يعني أن الاجتهاد في الجانب العقدي، أو حتى الاقتراب من تابوهات الفرق الدينية انتصاراً للتراث المعتزلي – الذي يرغب به محمد عمارة باعتباره قادراً على تحرير الفعل الإنساني، ويسمح بمزيد من الحرية – سيجرُّ على المجتهد صراعات مفتوحة تعطل كل إمكانية للنهضة، مما يجعلنا مساهمين في تكريس الواقع المنقسم المليء بالصراعات العقدية، وهذا ما يجعل دعوته للاجتهاد والتجديد مجرد دعوة دون ضوابط عملانية.

أما الجابري فقد حصر التراث بذلك المجهود الفكري الذي نشأ بدايةً حوالي عام 143 وسماه بعصر التدوين، ولم ينظر الجابري لمجمل التراث بعين واحدة، بل قام بتصنيفه بين تراث عقلاني وآخر غير عقلاني، وانحاز في رؤيته النهضوية للجانب العقلاني من

التراث لكي يكون منطلقاً لعملية نهضوية تقوم على أسس عقلانية؛ فانطلق أساساً – باعتباره ابستمولوجياً بالدرجة الأولى – من مقدمات المدرسة الفرنسية في تحليل النص المسكوت عنه، وتفكيك المركب منه ليكتشف منه الحدث الزاوي بعيداً عن ساحة المعلن عنه، وليترك أحياناً النصوص الطويلة لفيلسوف كبير كابن سينا، ويتبين المسكوت عنه من خطاب ابن سينا لأتباع أرسطو ليكتفي بأسطر بسيطة وردت في إحدى مقدماته، لذلك نراه يركز في دراسته للتراث السينوي على مقدمة كتابه منطق المشرقيين ويترك مئات الصفحات في الشفاء، لأن هذه المقدمة بحسب الجابري يعلن من خلالها عن خطه المشرقي الغنوصي، ويفصح عن مساره الفكري المعادي لمدرسة بغداد العقلانية في المنطق ويتنكر للتراث العقلاني الاعتزالي، (ابن سينا 1910 ،2– 4).

ففي دراسته نحن والتراث، حاول أن يكشف عن وجه آخر لابن سينا(الجابري، 1993، 94 –95) والفارابي، (الجابري، 1993، 55– 80) وجهاً لا معقولاً وعرفانياً، ليبيّن أنَّ مشروعهما الحقيقي كان في خدمة أيديولوجيا بعينها، هي الإيديولوجيا الباطنية، دون أنْ يُغفل (الجوانب المشرقة) المتمثلة بالتراث الخلدوني (الجابري، 1993، 292 – 324) وقد خصّص جهداً بحثياً كبيراً – رسالة الدكتوراه – للكشف عن ملامح نظرية خلدونية في التاريخ الاسلامي، (الجابري، 1994) كذلك فإن الجابري أولى التراث الرشدي المتمثل في محاولته فصل الدين عن الفلسفة باعتبارهما خطابين مختلفين في البنية متفقين بالغاية (الجابري، 1997) ، وقد قدَّم الجابري ضمن هذا البحث الدؤوب الجوانب العقلانية في التراث العربي الاسلامي لكل كتب ابن رشد العقلانية بمقدماتٍ تبين ما فيها من جوانب عقلانية تصلح كمقدمات لنهضة عربية محتملة، وتعتبر مقدمته لكتاب الكشف عن مناهج الأدلة من أبرز الدلائل على ما نقوله بهذا الصدد، فقد كانت محاولته تلك تبديل مناهج الفكر العقلانية من المناهج الكلامية إلى المناهج الفلسفية رغبة منه بالخروج من العقلانية التي تصنع الفرقة إلى العقلانية التي تصنع النهضة (الجابري،1998) إلا أن الجابري هنا يتجاهل أثر الفلسفة في بنية الفكر العربي الضعيف مقارنة بأثرها في بنية الفكر الغربي النهضوي.

ثانياً: النهضة العربية وإشكالية الهوية:

إن الأمم التي تريد أن تحقق نهضتها وتثبت هوياتها في صراع الهويات الدؤوب والقاسي يتحتم عليها أن تبني عوامل القوة في هويتها، لأن العلاقات بين الأمم لا تعترف إلا بأسباب الهيمنة أو التبعية، فلا وجود في الحياة السياسية للعمل الأخلاقي ومبادئ العدالة، فمن يبدي ضعفاً عبر التاريخ السياسي للأمم يلقى الإبادة والهيمنة بمقدار ما يبديه من ضعفه، فلا بدَّ من ملأ الفراغ الذي أحدثه هذا الضعف، فالجيوش تتحرك وترسم مساراتها من خلال سياسية ملأ الفراغ، وقد قدم لنا التاريخ جملة من الحكايات عن أولئك الحكام الذين أبدو ضعفاً ما.

إلا أن النهضة لا تتعلق بالسياسة بل لها أوجهاً متعددة منها: الجانب الاقتصادي فالمؤسسات الاقتصادية الدولية هي مؤسسات خادمة لهيمنة الدول المسيطرة على كل المقدرّات العالمية، وهي بالتالي ستضع العراقيل في وجه كل أمة تريد نهضتها، لذلك فهذه القوى الاقتصادية تمنع الأمم الضعيفة من تحقيق شروط نهضتها، وبذلك أصبحت اقتصاديات الأطراف مجرد تابع لاقتصاد المركز، ولا تقوى على تحقيق شروط التنمية الخاصة بها، (أونيل، 2012، 442 – 444)، ولكي تضمن تبعية الاقتصاديات الوطنية لصناعاتها، سنّت قوانين لحماية تجارتها (عمارة، 1997، 3 – 4).

سنناقش في هذا المبحث مسألة الهوية باعتبارها أحد محفزات النهضة أو معوقاتها بأبعادٍ ثلاثة أولها:

1. محددات الهوية عند محمد عمارة ومحمد عابد الجابري:

من يقرأ كتب محمد عمارة ومقالاته يجنح إلى حصر محددات الهوية بالإسلام ومكوناته الأساسية، فهو يقول "" منذ أن تدينت به أغلبية هذه الأمة قد أصبح هو الهوية الممثلة لأصالة هذه الأمة، فهو الذي طبع ويطبع وصبغ ويصبغ ثقافتها بطابعه وصبغته، فعاداتها وتقاليدها وأعرافها وآدابها وفنونها، وسائر علومها الإنسانية والاجتماعية، وفلسفة علومها الطبيعية والتجريبية ونظرتها للكون وللذات وللآخر، وتصوراتها لمكانة الإنسان في هذا الكون.. من أين أتى؟ وإلى أين ينتهي؟ وحكمة هذا الوجود وغايته ومعايير المقبول والمرفوض والحلال والحرام في المسيرة الحياتية لإنساننا، كل ذلك – وما ماثله – قد انطبع بطابع الإسلام، واصطبغ بصبغته.. إن ثقافتنا إسلامية الهوية، وإنَّ معيار الدخول والخروج في ميدان ثقافتنا والقبول والرفض فيها هو المعيار الإسلامي""، (عمارة، 1999، 7) مما يعني أن جميع من قَطَنَ المنطقة العربية يجب أن يرجع في هويته إلى الإسلام، ويستشهد محمد عمارة بأبرز المفكرين القوميين: ميشيل عفلق "" لا يوجد عربي غير مسلم .. فالإسلام هو تاريخنا، وهو بطولتنا، وهو لغتنا وفلسفتنا ونظرتنا إلى الكون.. إنه الثقافة القومية الموحِّدة للعرب على اختلاف أديانهم ومذاهبهم .. وبهذا المعنى لا يوجد عربي غير مسلم، إذا كان العربي صادق العروبة، وإذا كان متجرداً من الأهواء ومتجرداً من المصالح الذاتية.. وإن المسيحيين العرب عندما تستيقظ فيهم قوميتهم سوف يعرفون بأن الإسلام هو لهم ثقافة قومية يجب أن يتشعبوا بها ويحبوها ويحرصوا عليها حرصهم على أثمن شيء في عروبتهم .. ولئن كان عجبي شديداً للمسلم الذي لا يحب العرب، فإن عجبي أشد للعربي الذي لا يحب الإسلام.."" (عفلق، د.ت، 33، 269، نقلاً عن عمارة، 1999، 7– 8) ومع الإسلام تأتي اللغة العربية التي هي لسان الإسلام، وقد حفظها الله بحفظها للقرآن، ومن ثم يأتي التاريخ كثالث مكوّن للهوية العربية الذي هو تاريخ الدين الإسلامي وانتشاره وبطولاته، (عمارة، 1999، 8 – 10)، ومحمد عمارة بهذا الطرح لم يخرج عن الرؤيا الإحيائية التي لا ترى أي نهضة لهذه الأمة خارج إطار الهوية الإسلامية، وهذا ما جعله لا يدرك خصوصية المجتمعات العربية كبلاد الشام التي تتمتع بخاصية التعدد المذهبي والديني، وهذا ما يجعل من الهوية الإسلامية هوية غير مرغوبٍ بها.

إذا كان الإسلام هو أهم مكون لثقافتنا وبه نتميز على مستوى الشعوب والأمم، بيدَ أنه ليس واحداً، فلو أخذنا الدين التنويري عموماً كخطاب ينافح عن حقوقه في الوجود لوجدنا تعدداً في فضاءاته الفكرية والاجتماعية والاقتصادية، واختلافاً يرجع أساساً لاختلاف الحضارات التي ينتمي إليها، ويعتقد عمارة أن خطاب أهل السنة هو خطاب الوسطية الإسلامية دون تعصب لمذهب أو فرقة، لما يتميز به على مستوى نظرية المعرفة باعتماد سبل العقل والنقل والتجربة والوجدان، لتصبح الثقافة الإسلامية مزيجاً من ثمرات هذه المصادر والآليات والروافد جميعاً.

إنَّ هذا الخطاب الوسطي هو أوسع الخطابات ذيوعاً وانتشاراً في عالم الإسلام، ويتمثل بالطرح الأشعري والماتريدي للعقائد قديماً، والفكر الإحيائي التجديدي الممتد من حسن العطار حتى الفكر الإخواني، كما يتمثل بمؤسسة الأزهر والجامعات الإسلامية التي تحتضن تراث الأمة دون تعصب، وبالخطاب الصوفي الذي يرتكز على خطرات الوجدان وعلم القلوب والإلهامات، بعيداً عن خرافات الصوفية وطرقها التي لا تعتمد العقل والمنطق. (عمارة، 2007، 16).

أما بالنسبة للجابري فقد وجد أن محددات الهوية العربية تشكلت عبر التاريخ وتحديداً في عصر التدوين، الذي اختلف بحسب التيار الفكري والايديولوجي الذي يُعلِنُ عنه، (الجابري، 2009، 63 – 67) مما يعني ضرورة التمييز بين أكثر من عقل عربي، ولكن بثلاثة مكونات أساسية تمثل الهوية العربية الإسلامية على مستوى المعقول والمفكر به، وهي المعقول البياني والعرفاني والبرهاني، وأن هذه المعقولات الثلاثة مسكونةٌ في الأنا الشعوري للذات العربية على شكل حضور لا واعٍ يحفر عميقاً، ويساهم في صنع مستقبله.

ويمكن القول إن هذا التقسيم الثلاثي للهوية يرجع إلى تقسيم أحادي أصيل وهو المعقول البياني الذي يناسب العرب ومعقولهم في الخطاب والشعر والبناء العاطفي للإنسان العربي، أما المعقول العرفاني فهو معقول وافد كالمعقول البرهاني، الأول مصدره بلاد فارس، وهو معقول انبنى على أساطير الباطن وميثولوجيا الإمامة، أو أساطير العرفان الصوفي ومقولات الولاية والكشف، (الجابري، 2009، الفصل الثالث والرابع من القسم الثاني) بينما الثاني فكان مصدره الغرب الإغريقي، وتحديداً أرسطو الذي لاقى آذاناً صاغية في التراث الفلسفي عند ابن رشد، والتراث الفقهي عند ابن حزم والشاطبي، وكان في خدمة المعقول البياني والعرفاني في الشرق (الجابري، 2009، القسم الرابع والخاتمة).

ويمكننا التأكيد هنا على أن الجابري يحكم على أي نهضة بالموت إذا ما انطلقت من تراثنا البياني القائم على مخاطبة المشاعر لا العقل، لأنه يشترط التراث العقلاني ولم يجد غير التراث البياني، ولعل الجابري هنا لم يدرك خصوصية الهوية العربية التي تنبعث من عقالها ببيان لا برهان، ولعل تاريخنا يشهد أن الصحابة بايعوا النبي على الموت عندما أراد أن يحج، وما معه من سلاح، والمتمعن بقرار النبي يجده انتحاراً من الناحية العقلانية ، فكيف يقاتل من غير سلاح وصحابته عزّل منه، إلا أن فعله الذي استند على مخاطبة المشاعر، وردة فعل المشركين الذين وضعوا سمعتهم بين العرب حاجزاً منيعاً في أن يرتكبوا مجزرة بالصحابة، كل ذلك كان سبباً لنهضة لم تقم على النظر العقلي.

2. صراع الأنا والآخر:

لقد تبدّى الحق الحضاري للشعب العربي في إثبات ذاته والتحرر من الاستعمار الغربي بعد أن اكتشف ضعفه الحضاري أمام الغرب، من خلال حملة نابليون بونابرت على مصر سنة 1769 – 1821، وما تحمله هذه الحملة من أبعاد حضارية تجلت بالعلم والثورة الصناعية والفكرية التي جاء بها نابليون، فالحملة بكل أبعادها الاستعمارية كانت نتيجة فوتٍ وفجوة كبيرتين بين حضارتين نمت إحداهما على حساب الأخرى، فبينما نما الغرب حضارياً خبت نار الشرق الإسلامي التي توضحت للعالم بعد انهيار الخلافة الراشدة على يد القوى العلمانية التركية بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية، ومع انعدام الهوية الحضارية والمظلة الحامية لهم زاد طمع الغرب بهم، وهذا ما تجلى بتلك الحملة التي وصفها محمد عمارة: " لقد جاءت هذه الغزوة بالفكر والكتاب والمطبعة والصحيفة والمنشور والأيديولوجيا مع المدفع والبارود، لأنها كانت ثمرة للنهضة الأوروبية الحديثة وللثورة الصناعية وللفلسفة الوضعية والعلمانية اللادينية. (عمارة، 2007، 9 – 10).

إذاً يتحدث محمد عمارة عن غزوٍ فكري وآخر عسكري صدم الذات العربية وأصابها في مقتل، وذاك ما استفز الأنا الحضاري الذي انقسم عنده إلى أربعة اتجاهات:

1. علماء المسلمين الإحيائيين: دعا حسن العطار إلى التغيير الحضاري، وذهب الأفغاني منافحاً عن الفكر الإسلامي في مواجهة الغرب إلى تجديد فقه المعاملات، ليقطع الطريق على قانون نابليون الوضعي في المعاملات القانونية والجنائية، وذاك ما فعله تلميذه محمد قدري باشا لملء الفراغ التشريعي، ولأجل هذه المواجهة مع الغرب الحضاري خاض المجددون حرب تجديدٍ اتجاه الأنا الثقافي المتخلف والمنتقع ببحر من الجمود الفكري، وبذلك تميز خطاب التجديد بالعقلانية في معارضة التخلف العربي.

2. العقلانية الوضعية: إن العقلانية المؤمنة الإحيائية واجهت من جهة ثانية عقلانية وضعية لادينية آتية من الغرب (عمارة، 2007، 11 – 13).

3. الأنا المتزمتة الجهادية: أما ثالث نوع من أنواع الخطاب الإسلامي المعاصر بحسب الدكتور محمد عمارة وهو الخطاب المتزمت الذي يعتمد على العنف والاستيلاء على السلطة بالانقلاب العسكري، وقد اعتمد الإعلام الغربي بظهيره العربي السلطوي على تضخيم هذا التيار بُغية تصوير الإسلام على أنه دين عنف لا يفهم إلا لغة السيف والقتل، ولعل ما يمارسه الغرب من فظائع بحق الشعوب الإسلامية يحفز بعض الشباب المسلم إلى مواجهة هذا الاستكبار، ليخرج المشهد برمته خدمةً للرؤيا الغربية عن الإسلام الإرهابي.(عمارة، 2007، 18 – 19).

4. الخطاب الإسلامي السلطوي: وهو الخطاب الإسلامي المتحالف مع السلطة الحاكمة، وهو الخطاب المحبب للغرب، فصحيح أن الغرب وقف ضد التيار الأول الإحيائي ومنع وصوله للسلطة، لكنه من جهة أخرى ساند فصيل الجمود الديني في المجتمعات النفطية قبل ثلاثة أرباع القرن، عندما كان هذا الخطاب داعياً لإطالة اللحى وتبديع الأشعرية وتيار التجديد الإسلامي، واسُتغل هذا الفصيل من قبل الغرب للجهاد ضد الشيوعية، ولكن الغرب في الوقت نفسه وقف ضد هذا الخطاب في لحظة تحوله للجهاد ضد الصهيونية العالمية والهيمنة الأمريكية واسترجاع الثروات العربية (عمارة، 2007، 24). فطالما كان الخطاب الإسلامي مُوادعاً الغرب وهاجراً السياسة، فيجب أن يُدعم، إلا أن الخطاب ذاته انتقل في آلياته وسبل تفكيره لأن يضع الغرب خصماً له، عند هذه اللحظة من التحول الفكري يجب أن يوضع موضع الاتهام، مما يعني أن الغرب هو الذي يوجه هويتنا وانتماءنا العقدي، مما يعني أننا مازلنا موضوعاً لاستثمار الغرب، وأمة غير ذات مشروع حضاري تتقاذفه المشروعات الأخرى.

وإذا ما انتقلنا إلى محمد عابد الجابري في نقاشه لمسألة صراع الأنا والآخر، فيرى أن العلاقة بينهما تكتنفها رؤى أيديولوجية، يتحدد من خلالها الأنا عبر الآخر وبواسطته، (الجابري، 2012، 90 – 91)، وقد كانت علاقة الأنا بالآخر صدامية حتى بالمعنى الفلسفي الميتافيزيقي، فالغرب عبر حضارتهم اليونانية تصوروا أن المادة قديمة، وهي أبدية، وهذا على العكس من المنظور الإسلامي القائم على تصور عملية الخلق على أنها خلقٌ من عدم، وأن الله جعل لهذا الكون بداية وسيكون له نهاية (الجابري، 2012، 103 – 109)، فالغرب مادي وعقلاني والشرق روحي ولاعقلاني.

حاول الجابري رصد علاقة الأنا بالغرب على المستوى التاريخي، في خطاب الآخر الاستشراقي في القرنين الثامن والتاسع عشر، فوجده إقصاءً للشرق = الموضوع، من قبل الغرب = الذات، وذلك لبناء الأنا الأوروبي بالصورة الذي يظهر فيها الغرب عقلانياً وعلمياً، بينما يظهر الشرق السحري اللاعقلاني، ويضرب الجابري نماذج على هذا الإقصاء:

1. الإقصاء الجغرافي: وذلك من أجل أن يكون الشرق كموضوع خارج الذات – الغرب، لذلك لجأوا إلى شرق أدنى، وشرق أوسط، وشرق أقصى، وكما قال غوته الشرق شرق، والغرب غرب.

2. الاقصاء العرقي: فالشرق تسكنه شعوب سامية ناقصة تفتقد التنوع الذي هو شرط الكمال، بينما الغرب تسكنه شعوب آرية.

3. الإقصاء العقلي: فالشرقيون أدنى عقلاً لا يحاكمون منطقياً، بل هم شعب عاطفي عاجز عن الإنتاج الفلسفي، والفلسفة العربية بحسب تعبير رينان هي فلسفة يونانية بعبارة عربية، كذلك فعل هاملتون الذي أنكر على العقل العربي الإنتاج العقلي.

4. الإقصاء الحضاري: فالإسلام عدوّ للحضارة، مكرسٌ للجهل، وأن تاريخ الشرق لا يعرف إلا الاستبداد. (الجابري، 2012، 128 – 134).

إلا أن هذا النقد الذي وجهه الجابري للخطاب الاستشراقي كان مصدر نقدٍ للجابري نفسه الذي قسم العقل العربي إلى ثلاثة أنماط معرفية: الأول عرفاني مشرقي والثاني عقلاني برهاني مصدره منطق وفلسفة أرسطو، والثالث بياني مصدره العرب وسحر لغتها

التي تشغف القلب، وقد أشار الجابري نفسه في كتاباته المبكرة إلى أن الفلسفة والتراث العربي انقسما بين هذه الأنماط المعرفية، معتبراً أن الفكر الشرقي السينوي وفلسفة الفارابي كانتا جانباً مظلماً للفلسفة العربية اللامعقولة، التي كان هدفها إضفاء المشروعية العقلية على مختلف جوانب اللامعقول التي ورثها الإسلام كحضارة وثقافة عن الحضارات والثقافات القديمة.(طرابيشي، 2002، 12 – 13) مما يعني أن الجابري الذي وضع سؤال الصراع مع الآخر، غدا ذلك السؤال اتهاماً عريضاً ومباشراً للجابري الذي أراد بحسب كثير من الكتّاب شطر التراث إلى تراث معقول برهاني وآخر بياني وثالث ظلامي عرفاني نسبه للشرق الفكري لا الجغرافي، كابن سينا المشرقي، مع العلم أن أحد المستشرقات = ماري غواشون كانت أكثر إنصافاً من الجابري، فبينت الجوانب العقلانية لفلسفة ابن سينا(طرابيشي، 2002، 23 – 24)، إن شطر الجابري للعقل العربي في معرض حديثه عن الصراع بين الأنا والآخر هو اعترافٌ منه بهزيمة النهضة العربية التي لا يمكنها الاستناد للجوانب المشرقية من التراث العربي، بل للجوانب البرهانية المستمدة من الغرب، وهذا ما يعتبر استلاب حضاري اتجاه الآخر، الأنا البياني مقابل الآخر العقلاني.

3. الهوية بين مفهومي التبعية والتحرر:

لقد رفضت الحضارة الأمريكية الفكر الإسلامي الذي يدعو إلى إثبات الذات الإسلامية المتحررة من الغرب، وقد سعت إلى صناعة ذاتٍ على قدِّ الذات الغربية ومُسَبِّحَةً بمحاسنها، وبالتالي فالذات الإسلامية بحسب الآخر هي تلك الذات التي تقبل أن تكون عميلة ومصنوعة على عين الأمريكي، وبالتالي لا بدّ من صراع بين ذاتٍ ترغب بالتحرر ومتحالفة مع القوى الإسلامية المتجذّرة بالتراث العقلاني، وذاتٍ تابعة للغرب، ولكن كيف سيواجه الأمريكي المتحضر هجمات المسلمين الفكرية المحتملة على الهيمنة الغربية؟

يجيب محمد عمارة: لا بد من معركة يشنها الغرب على الشرق الإسلامي بعد أن فرغت الذات الغربية من رعب المواجهة مع الشرق الشيوعي، لا بد من المواجهة على الطريقة الامريكية، يعني ذلك أنه لا بد أن تشتعل حرباً بين المسلمين داخل بلادهم، ولتكن حرباً فكرية بين اسلامٍ حداثوي وآخر ليبرالي وثالث علماني، لكي يتحول الإسلام إلى اسلام يسلك طريقاً واحداً هو طريق أتاتورك الذي أجبر تركيا على أن تهجر ماضيها .. فالمطلوب هو إحكام السيطرة على المدارس الدينية وإعداد أئمة مستنيرين للمساجد لترويج أفكار الغرب، وتشكيل الذهنية العربية لدى الجيل الجديد على مبدأ التسامح والحوار مع الأديان الأخرى، واللين مع سياسة إسرائيل اتجاه المسجد الأقصى، وقد توالت الطلبات للأنظمة العربية المسلمة لتغيير مناهج التعليم الديني واختزال ساعاته، وقد كُلفت النخب المثقفة على النهج الغربي لمساعدة الغرب على تمرير هذه الرؤية الغربية، وذلك من خلال المثقفين العرب الذين تربوا في أحضان الثقافة الغربية بشقيّها الماركسي والليبرالي، وبالتالي يجب على الذات العربية المثقفة أن تلتهم ذاتها، وأن تضرب المشاريع العربية ببعضها، مما يؤدي إلى إنهاكها، وعدم قدرة الذات العربية أن تلملم نهضتها وتبعث ذاتها الإسلامية بثوب عقلاني يليق بالمجتمع المعاصر، وينتهي محمد عمارة من خلال تحليله لطبيعة المواجهة بين الأنا الإسلامي والآخر الغربي – ممثلاً بأمريكا والغرب الأوروبي – إلى ضرورة مواجهة الغرب بالخطاب العقلاني، فاضحين أبواقه من أمثال جون أشكروفت وزير العدل الأمريكي ومادلين أولبرايت وزيرة الخارجية الأمريكية، وصموئيل هنتجتون وفرانسوا فوكاياما وتوماس فريدمان الذين يصدِّرون خطاب الكراهية والسيطرة على مقدراتنا بسبل العولمة التي تعني إعادة احتلال بلادنا حضارياً وفكرياً، لتكوين جيل إسلامي جديد يحب سياسات الغرب كما يحب شطائره. (عمارة، 2007، 24 – 25).

يحاول الجابري أن يجيب عن سؤال الهوية بين التبعية والتحرر من خلال تشريحه للخطاب العربي المعاصر، فيجده منقسماً بين ايديولوجيتين عريضتين هما أيديولوجيا الأصالة والمعاصرة، وتحمل كلٌ منهما ألواناً مختلفة من الخطاب، فتسعى أيديولوجيا المعاصرة

إلى دعوة الذات إلى تبعية الغرب، ولكن هؤلاء الدعاة ليسوا من لون واحد فمنهم من يريد تبعية الغرب الاشتراكي الإصلاحي، أو الاشتراكي اللينيني، ومنهم من يريد الغرب الليبرالي، أما دعاة الأصالة فمنهم سلفيين رافضين لكل نظم العصر ومؤسساته ويصفونها بالنظم الجاهلية، ومنهم سلفيين معتدليين يقبلون من حضارة العصر ما لا يخالف الشريعة، ويحاولون إجراء مقاربة بين مفاهيم الحداثة الغربية مع مفاهيم التراث الإسلامي، فيفهمون الديمقراطية على أنها شورى، والاشتراكية بدعوات الإسلام للزكاة.

ويستطرد الجابري في عرض مختلف أنواع الخطاب التوفيقي، ليخلص أن العرب حالياً ليس لهم ثقافة الاختيار بين تبعية أو تحرر، لأن الغرب فرض نفسه علينا منذ أن اصطدمنا بنموذجه الحضاري من خلال التبادل التجاري غير المتكافئ والتدخل بالشؤون الداخلية، وأشكال الهيمنة الاقتصادية والسياسية، (الجابري، 2012، 16 – 18) مما يعني بحسب الجابري أن الذات العربية تعيش أقسى أنواع التبعية للغرب مما يشكل خطورة حقيقية على الواقع العربي، وأول شيء يجب على الذات أن تفعله لكي تخرج من حالة التبعية، أن تعي وجودها الحضاري الاقتصادي والاجتماعي، خارج إطار الازدواجية والاختيار بين الغرب والتراث، بل علينا أن نختار ذاتنا المعاصرة بمشاكلها الحقيقية كمشكلة النهوض وتحرير الذات والأرض من هيمنة الغرب، وليست المشاكل التي فُرضت علينا، كمشكلة العلمانية وغيرها التي هي مجرد مشاكل فكرية فرضت على الفكر العربي لإشغال المثقفين العرب عن قضاياهم النهضوية الحقيقية، فما الذي يهم المفكر العربي بأن يعيش في دولة يُهَمَشُ فيها الدين، أو أن تمنح هذا الدين بعض الدور في صياغة الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في ظل دولة متخلفة تفتش عن ذاتها بين الأمم دون وجود ديمقراطية حقيقية، وهذا يعني أن المفكر العربي ينشغل عن قضاياه النهضوية الحقيقية بقضايا غيره مفروضة عليه قسراً من قبل الآخر الذي يريد أن يرسم للآخرين دروب نهضتهم اللانهضوية.

ثالثاً: نقد مشاريع التحرر العربي النهضوية عند كلٍ من محمد عمارة ومحمد عابد الجابري:

سنحاول في هذا المبحث عرض مواقف محمد عمارة ومحمد عابد الجابري من مشاريع التحرر والنهضة العربية من خلال مؤلفاتهم، وسنبدأ بالمفكر المصري محمد عمارة:

1. موقف محمد عمارة من مشاريع التحرر العربي النهضوية:

انطلق محمد عمارة من شمولية الحل الإسلامي الحضاري لمشكلات الواقع من خلال رؤية تجديدية للنص المكتمل، ومن أراد حل مشاكل الواقع دون الاستعانة بالنص والاجتهاد فإنه يخالف الأمر الإلهي: ﴿ يَا أَيُّها الَّذِين آمنوا أَطِيعُوا الله وَأَطِيعوا الرَّسُول وَأُولِي اَلأَمْرِ مِنْكُم ، فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِيْ شَيْءٍ فَرُدُّوه إِلَى الله وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُوْن بِالله وَالْيَومِ الآخِرِ، ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيْلاً﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ أَمنُواْ بِمَا أُنزِلَ بِمَا أُنزِلَ مِن قَبلِكَ يُرِيدُون أَنْ يَتَحَاكَموا إِلَى الَّطَاغُوت وَقَد أُمِرُوْا أَن يَكْفُرُوا بِهِ، وَيُرِيدُ الشَّيطَانُ أَن يُضِلَّهُم ضَلَالاً بَعِيدَا﴾(النساء، 59 – 60) ويستشهد عمارة بكثير من الآيات والأحاديث النبوية التي تدعونا إلى أن تكون حلولنا الحضارية إسلامية، وإلا فستغدو حلولاً خاطئة وظالمة، فمن ذا الذي يكافئ الله في حُكمه (عمارة، 1998، 12 – 13)، وبالتالي فأي حل تحرري خارج الاجتهاد العقلاني على النص هو حل غير مؤهل لأنْ يكون ضامناً للتحرر، وبالتالي فإننا بحسب محمد عمارة أمام ثلاثة تيارات تسعى لتحرر العرب المسلمين (عمارة، 1998، 14 – 15) هي:

1. تيار التقليد الرافض لكل وافدٍ جديد، لكنه عاجز عن تقديم البديل.

2. تيار التغريب كالماركسيين والليبراليين والعلمانيين، وهؤلاء تجاهلوا قضايا الأمة الرئيسية وشرعوا في استيراد الحلول الغربية التي لا تناسب الواقع العربي، والقوميون الذين قطعوا روابط العروبة بالإسلام.

3. تيار الإحياء التجديدي الذي رفض كلاً من التقليد والجمود الرافض لقيم الغرب جملة وتفصـــيلاً، والمنكفئ على الذات، وكذلك الرافض لتيارات الحداثة التي تريد أن تسلخنا عن هويتنا.

وهذا يعني أننا إذا أردنا التحرر من الهيمنة الغربية والتخلف العربي علينا أن نعيد قراءة مشـــاريع النهضـــة من خلال تجديد تأويلنا للنص القرآني الذي سينقذنا من واقعنا المخزي، انطلاقاً من ثوابت الماضي الإسلامي إلى أن نضع أقدامنا في المستقبل بين الأمم، ولكن من يقوم بعملية التجديد الفكري الديني؟

لقد رفض عمارة عدة أنواع من الخطاب الإسـلامي المعاصـر، كالخطاب الذي أسـسـه أحمد بن حنبل، وهو الخطاب الذي يقف على ظاهر النص دون إعمال للعقل، وهو خطاب محدودٌ في الفكر الإســـلامي وفيه غلو، ولكن الإعلام الغربي يركز عليه باعتباره الممثل الأساسي والوحيد للدين السني رغبة منه في تشويه الدين الإسلامي باعتباره دين التطرف، كذلك يرفض الخطاب المتزمت الذي يعتمد على العنف والاسـتيلاء على السـلطة بالانقلاب العسـكري. (عمارة، 2007، 17– 19)، وهذا يعني أنَّ الخطاب المتزمت عموماً لا يصـلح للدفاع عن الذات الإسلامية والمنافحة عنها حضـارياً، لأنه يقدم صـورة سلبية عن تسـامح الدين وحسن إعماله للعقل وتشـجيعه للعلم والمعرفة في مسألة المدافعة الحضارية بين الأمم، وقد حاول الغرب إبراز جوانب التعصب والتزمت الديني.

2. موقف محمد عابد الجابري من مشاريع التحرر العربي النهضوية.

لقد كتب محمد عابد الجابري في نقد مشـاريع التحرر العربي، بل أقام لهم مذابح لأفكارهم التحررية خاصـة في كتابين على الأقل، كتبهما في أواخر العقد الثامن وأوائل العقد التاسع من القرن الماضي، وهما:

1. الجابري، محمد عابد. (1989). إشكاليات الفكر العربي المعاصر، طبعة ثانية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.

2. الجابري، محمد عابد. (1994). الخطاب العربي المعاصـر، طبعة خامسـة، بيروت، مركز دراسـات الوحدة العربية. وقد نقد فيهما الرؤى الأيديولوجية والفلسـفية والنهضـوية والقومية لقوى التحرر العربي كأطروحة الوحدة والاشـتراكية والديمقراطية ومسـألة الهوية والتقدم.

وقد حاول الجابري في كلٍ من الكتابين نقد كلِّ مشاريع التحرر الوحدوية والاشتراكية باعتبارها مشاريع أيديولوجية مبنية على أحلام طوباوية من جهة، ومسـتلبة للغرب من جهة أخرى، وقد تأكد للجابري أن "" زمن الفكر العربي الحديث والمعاصـر زمن ميت، أو قابل لأن يعامل كزمن ميت"" (الجابري، 1994، 194).

ولم يسـتطع هذا الخطاب العربي التقدم لصـياغة مشـروع نهضـة ثقافية على صـعيد التخطيط العلمي "" بل ظلَّ ينوس بين طرفي معادلة مستحيلة الحل، معادلة الأصالة والمعاصرة ، التي تطمح إلى تحقيق التوافق بين سلطتين مختلفتين: سلطة النموذج العربي الإسلامي الوسيطي وسلطة النموذج الأوروبي المعاصر"" (الجابري، 1994، 196)، إلا أن الخطأ الكبير الذي يمكن أن يقع فيه الجابري في نقده للحداثة الأوروبية ورفضها كسبيل للنهضة ، هو أن نقد الحداثة لا يمكن أن يتم إلا بالانخراط في الحداثة وانتاجها، وما دمنا على هامش حركة التاريخ العلمي وثورته المعرفية سنظل أسرى الموقف الإشكالي من الغرب الذي رافق الفكر العربي من الطهطاوي إلى الآن.(شقير، 2014، 434).

لقد حاول الجابري القفز على إشـــكالية العلاقة مع الغرب في انتقائية فجة توجه من خلالها إلى الديمقراطية كحل لحال العرب، ومفتاح لنهضة حقيقية، وذلك من خلال رسم لحياة سياسية جديدة ، فالديمقراطية – بحسب الجابري – رغم كل عيوبها هي ضرورة وطنية تقوم على أســـس من التراث الحضـــاري لتحقيق الوحدة العربية عن طريق القوة والإرادة الحرة، وذلك من خلال تحويل قيم

الهوية العربية إلى قيم معاصرة نتجاوز من خلالها ضرورات الواقع وتحدياته، وذلك بتحويل مفهوم القبيلة إلى فاعلية الأحزاب والقوى الحرة التي تتقاتل تحت أقبية البرلمان والمراكز الثقافية لنهضة الوطن، وتحويل مفهوم الغنيمة لكيفية نسعى من خلالها لتأمين موارد للدولة عن طريق الضريبة، ولكن بأي معنى يمكن للسياسي العربي

الخاتمة:

بعد استعراض نظرية محمد عمارة ومحمد عابد الجابري في مسألة النهضة، يمكننا أن نخلص إلى النتائج التالية:

لو دققنا النظر بمكونات الهوية عند محمد عمارة لوجدنا خطابه انتقائياً واقصـــائياً، فهو يُقصـــي التيارات الباطنية بكافة مكوناتها، كذلك يحاول أن يبتعد عن التيارات الصـــوفية اللاعقلانية، رغبةً منه لتنقية الدين - الذي هو أســاس الهوية الإســلامية – من كل عنصر قد يشكّل عائقاً أمام استعادة نهضتها، وكأن الهوية هي ما نتمناه وليست ما نعيشه، وإذا ما أردنا تغيير الهوية فعن وعي لا عن تمنٍ، أما الجابري فلم يغفل المكون العربي للهوية من تراث شعري، وبلاغة، وطرق قياس ساهمت في بناء الذات العربية، كذلك فقد حاول تلمس الذات ومنتجاتها على المستوى الابستمولوجي لا الأيديولوجي، إلا أن الجابري في بحثه عن الذات ابستمولوجياً قدّم المكون البرهاني الغربي على المكونين: العرفاني الشرقي والبياني العربي، فوقع في مستوى الخطاب الأيديولوجي الذي أراد التخلص منه ونقده.

رغم انطلاق الرجلين من الذات الإســـلامية ومكوناتها لتحاكي الآخر دون أي انغلاق، إلا أنَّ محمد عمارة لم يكن يتحرج من فهم مفاتيح التقدم الغربي على أنها: بضــاعتنا وقد رُدّت إلينا بأســاليب حضــارية جديدة، ففهم الشــورى على أنها عين الديمقراطية، وأن الزكاة والصدقات تؤدي حلولاً اقتصادية لمحاربة الفقر كما تفعل الضرائب في الدول الحديثة، وقد فهم الشريعة على أنها قادرة على استيعاب كل تحديات النهضــة من خلال قدرة علمائها على التجديد والاجتهاد، وفي ذلك مصــادرة على الواقع الحاضــر ومستجداته التي يمكنها أن تكون حبلى بمفاجآت اجتماعية وسياسية واقتصادية غير محملة لمعاني النص واجتهاداته، مما يعني أن ضرورات الواقع اللامتناهية قد تنفلت من إمكانيات النص المتناهية، فإذا ما استسلمنا لمصادرة أن الاجتهاد قد يردم الفجوة بين ضرورة الواقع وامكانيات النص، ستتركنا حبيس النص ذاته وامكانياته دون قدرة على ملاحقة ضرورات الواقع.

أما الجابري فكان يحذرنا من الإجابة عن أسئلة الواقع وضروراته بإجابات مستمدة من التراث، لأن القدماء من علماء المسلمين لم يجيبوا على أسئلتنا وضرورات حياتنا بل أجابوا عن أسئلة حاضرهم وتحديات نهضتهم، كذلك حذرنا ونحن نفتش عن سبل تحررنا من أن نقع في أشراكٍ قد نُصبت لنا من قبيل الوقوع في ثنائيات الفكر العربي المعاصر { أصالة – معاصرة } { تقدمي– رجعي } { ليبرالي– ســلفي } { عروبة – اســلام } { شــورى – ديمقراطية}، ولن يتأتى لنا هذا الأمر إلا إذا ابتعدنا بخطابنا النهضــوي عن الايديولوجيا من خلال ابتعادنا عن هيمنة المرجعية الثنائية: سلفي – معاصر، وذلك عن طريق الاستقلال التاريخي للذات العربية من خلال بناء كتلة تتولى تحقيق نهضة العرب، فلا يمكن لفئة أو طبقة أو حزب أو جماعة بمفردها في أي قطر أو دولة الانفراد بهذه المهمات النهضـــوية، ولكن لا يعني ذلك أن على جميع المدعوين إلى الانخراط في الكتلة التاريخية أن يتخلوا عن مشـــاريعهم الإيديولوجية، بل يجب على كل القوى الإيديولوجية أن تتحد على مطالب عاجلة تنبثق من عمق مصلحة الأمة، وتلامس مصالح الناس دون أن يكون عليها خلاف، وتمثل أهدافاً وطنية عامة كالحاجة إلى تنمية بشــرية شــاملة في إطار طرح مشــروع شــامل وتكاملي على المستوى الجهوي والقومي، والحاجة إلى إقرار ديمقراطية حقيقية تعطي الشرعية لممارسة سلطة على الصعيد القطري، ولبناء العلاقات والارتباطات الوحدوية على الصعيد العربي العام، كل ذلك عن طريق الكتلة التاريخية التي تسعى إلى الاستقلال الثقافي كنقيض للاختراق

الثقافي، مما يعني عدم التبعية لمكتسبات الحضارة الحديثة ذات الطابع الإنساني والعمل على تبيئتها في إطار استراتيجية التجديد من الداخل، كذلك فإن النضال من أجل الديمقراطية الحقيقية وتقليص الفوارق الاقتصادية بين المدينة والقرية وبين الطبقات الاجتماعية من أهم أهداف الكتلة التاريخية بكافة قواها الاجتماعية، وعندما تنجز الكتلة التاريخية بكل مكوناتها مهمتها التاريخية، فإنها ستفرز قوى جديدة تحل محل القوى الأيديولوجية القديمة التي كانت مسؤولة عن حالة الجمود الحضاري.

إذا كان التراث عند عمارة هو سبيل التحرر والنهضة عبر آلية التجديد التي تساهم في فهم أسئلة الواقع، فإنه يغدو عند الجابري – بما في ذلك الشريعة – هو أحد المنابع لتلمس النهضة، ولكن يجب أن نبني ذاتنا الحضارية من خلال الاستقلال التاريخي عن نموذج السلفية – المعاصرة بالاتجاه للواقع المعطى للذات بكل تجاذباتها الحضارية والثقافية والدينية، ومن ثم ليغدو الدين عند الجابري أحد مكونات التراث، وليصبح التراث مكوناً أصيلاً للذات العربية في استقلالها التاريخي، ولكنه ليس المكون الوحيد.

إن البحث في مسألة التراث والنهضة لا يمكن أن يكون محايداً لأنه سؤالٌ عن الوجود الحضاري ذاته يرتبط بالأنا، فلا يمكن لأي ذات حضارية أن تقف محايدة تتناول موضوع نهضتها من التخلف بشكلٍ موضوعي، فمن الطبيعي للتراثوي أن يمجّد كل التراث الذي انتقاه على مزاجه الإيديولوجي مستبعداً التراث الذي لا يخدم نهضته التراثوية، وهذا ما فعله التراثوي محمد عمارة، حتى لو قلنا أن محمد عمارة تراثوي عقلاني، أما بالنسبة لمحمد عابد الجابري فقد مارس اللاموضوعية في قراءته للتراث بطريقة واعية ومقررة سلفاً لغايات أيديولوجية متعلقة بنهضة مستندة على عناصر من التراث يمكننا استغلالها وتثويرها لإحداث نهضة على المستويات الاجتماعية والسياسية، هذه المستويات التي ستساهم في اتخاذ القرار السياسي في النهوض والتقبل الاجتماعي له.

إن منظومة محمد عمارة الإصلاحية التي استمد مفاهيمها من الثقافة الإسلامية التقليدية تنظر إلى التراث الإسلامي على أنه صورة كاملة لحضارة متعالية ومقدسة، وتنطلق هذه الرؤيا من أن تخلف الواقع العربي الإسلامي على المستوى السياسي والاقتصادي والاجتماعي ناتجٌ عن الابتعاد عن متطلبات وممارسات الدين الإسلامي، لذلك فإن المعادلة عند أصحاب هذا التيار واضحة المعالم مفادها: أن العرب كعرق حضاري لم يكونوا أصحاب حضارة، وكانوا مستضعفين في الأرض لصالح حضارتين عريقتين هما: الحضارة الفارسية والرومانية الشرقية، وعندما أَذِنَ الله ببعث نبيه بدينه الإسلامي استطاع العرب بعث ثقافتهم وبناء حضارتهم على حساب انهيار الحضارتين، وهكذا يصل أصحاب هذا التيار الإصلاحي إلى استنتاج تاريخي ومفاده:

أن العرب عندما يتمسكون بثوابت دينهم يسودون العالم، وعندما يبتعدون عنها يصبحون أذلة لغيرهم، وعديمي الهوية الحضارية التي لا تكتمل إلا بهذا الدين، لذلك إذا أراد العرب السؤدد فعليهم احياء تراثهم الديني الذي يدعو للعلم والثقافة، ويحارب التخلف، وينادي بحقوق الإنسان والعدل والمساواة لبناء نهضة تتعالى على النهضة الغربية أساسها العقل والقلب، وإشباع متطلبات الروح والبدن معاً.

المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم.
2. ابن سينا. (1910). منطق المشرقيين والقصيدة المزدوجة في المنطق، القاهرة، المكتبة السلفية.
3. أونيل، باتريك هـ. (2012). مبادئ علم السياسة المقارن، ترجمة باسل جبيلي، ط1، دمشق، مكتبة مؤمن قريش.
4. الجابري، محمد عابد. (1994). فكر ابن خلدون العصبية والدولة، طبعة سادسة، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.
5. الجابري، محمد عابد.(2009). تكوين العقل العربي، طبعة عاشرة، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.
6. الجابري، محمد عابد. (2009). بنية العقل العربي، طبعة تاسعة، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.
7. الجابري، محمد عابد. (2012). مسألة الهويّة العروبة والإسلام والغرب، طبعة رابعة، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.
8. الجابري، محمد عابد. (1999). المسألة الثقافية في الوطن العربي، ط 2، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.
9. الجابري، محمد عابد. (1994). الخطاب العربي المعاصر، طبعة خامسة، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.
10. الجابري، محمد عابد. (2012). إشكاليات الفكر العربي المعاصر، طبعة ثانية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.
11. الجابري، محمد عابد. (1997). مقدمة كتاب فصل المقال في تقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال، أو وجوب النظر العقلي وحدود التأويل (الدين والمجتمع) لابن رشد، طبعة أولى، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.
12. الجابري، محمد عابد. (1998). مقدمة تحليلية وشـــروح لكتاب الكشـــف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، طبعة أولى، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.
13. الجابري، محمد عابد. (1993). نحن والتراث، طبعة سادسة، بيروت، المركز الثقافي العربي.
14. حنفي، حســن. محمد عابد الجابري. (1990). حوار المشــرق والمغرب، طبعة أولى، بيروت، المؤســســة العربية للدراســات والنشر.
15. داود، عبد الباري محمد. (1996). الإرادة عند المعتزلة والأشاعرة، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية.
16. طرابيشي، جورج. (1998). نقد نقد العقل العربي: إشكاليات العقل العربي، طبعة أولى، بيروت، دار الساقي.
17. طرابيشي، جورج. (2002). نقد نقد العقل العربي: وحدة العقل العربي الإسلامي، طبعة أولى، بيروت، دار الساقي.
18. عمارة، محمد. (1997). تيارات الفكر الإسلامي، ط2، القاهرة، دار الشروق.
19. عمارة، محمد. (1999). مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، طبعة أولى، القاهرة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع
20. عمارة، محمد. (2007). الخطاب الديني بين التجديد الإسلامي والتبديد الأمريكي، ط2، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية.
21. عمارة، محمد. (1988)، مسلمون ثوار، ط3، القاهرة: دار الشروق.
22. عمارة، محمد. (1997). صراع القيم بين الغرب والإسلام، القاهرة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
23. عفلق، ميشيل. الكتابات السياسية الكاملة، الجزء الثالث، طبعة بغداد.
24. غارودي، روجيه (1999)، حوار الحضارات، ترجمة عادل العوا، ط4، بيروت، دار عويدات.

الدوريات:

1. الضاهر، سليمان. (2014). نظرية العقل عند الفارابي، مجلة جامعة دمشق، المجلد 30، العدد: 1+2.
2. شقير، صالح. (2014). إخفاق التنوير العربي، مجلة جامعة دمشق، المجلد 30، العدد: 1+2.